

من كتاب (حكاية الينابيع) المقامة المِغزَلِيَّة

كتاب (حكاية الينابيع) الذي يوثق مسيرة (منتدى الينابيع الهَجَرِيَّة) خلال أربعة عقود منذ تأسيسه عام 1407هـ ، يزخر بالحكايا الشيقة و الأشعار الطريفة ، لأنه و بكل بساطة يؤرخ علاقة مجموعة من الشعراء الطرفاء المخلصين في مودتهم والمخلصين لأدبهم .

و من أطرف تلك الحكايا حكاية (المقامة المِغزَلِيَّة) ، التي كتبتها من باب التنويع ، وربما من باب استكشاف القدرة على مجاراة من أبدعوا في هذا الفن ، و على أثر معرفتنا و تواصلنا بالمرحوم الشيخ إبراهيم الغراش من القطيف الذي كان مفتونا (بمقامات الحريري) مما دعاني شخصيا لإعادة قراءتها مجددا . وهي كنز ثمين لطلاب المهارات اللغوية والأدبية ، و كانت مقررة حفظا على طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف يوما ما .

فحدث أن تغيب الأخ الشاعر الشيخ عبد□ بن محمد السعد عن إحدى جلسات المنتدى - لذهابه في رحلة مع بعض الصبية الذين كان يعطيهم دروسا في المسجد - في وقت كثر فيه غياب بعض الزملاء من شعراء المنتدى الذين لم يكن يفلت واحد منهم دون جلد بقصيدة أو ببضعة أبيات تعيده إلى جادة الانضباط ، وكان نصيب الشيخ عبد□ السعد هذه المرة هذه المقامة الموشاة ببعض الأبيات الشعرية على نهج (الحريري) في مقاماته الشهيرة .

المقامة المِغزَلِيَّة ..

(من العاتب الموجود، ناجي بن داود، إلى ناكث العهد، عبد□ بن سعد، السلام على من اتبع الهدى
أما بعد :

فويحك يا بن سعد، أضاق الدهر بيومٍ تعبت فيه مع صبتك ، ونهارٍ تتقلب فيه معهم في صوتك، عن سويغاتٍ تتشرف فيها بلقاء صحبتك ؟ فصعرتَ خدك غير مكترثٍ بميعاد، ولا بمن ينتظرونه على شوك القتاد، ولا بمن يقطعون له طول البلاد:

يحثون للعَلْيَا النفوسَ بهمَّةٍ ...

تري رفعةَ الجوزاءِ دون مُرادِها

ويُزجُون للآمالِ كلَّ جَلودةٍ ...

لها العيدُ في البَيدا و قطعِ وهادِها

أم تراك وليت شعري - لذلك قاصدا ؟ ولتشتيت ما التأم من الشمل عامدا ؟ وليبعةٍ في عنقك للقريض
جاحدا ؟ وما أخالك وأيُم □ إلا كائدا ، فما عهدتك عن مصاعد الشرف شاردا ، ولاعن مسالك الحق
حائدا ، ألا تخاف □ أنت ومَن شاكلك في دربٍ أجاهد لرسمه ؟ ودُرٍ □ أجالدُ لنظمه ؟ وثقلِ أكابد
لضمِّه ؟ ويُدِّكُم .. أأغزلُ وتنكثون ؟ وأبني وتهدمون ؟ كأنكم بعذابي في الأرض موكِّلون !!

فإن ° قلتُ شرقًا فلتمُ الغربُ قصدُنا ...

وإن ° قلتُ غربًا صار مقصدكم شرقًا

أكاد وإيَّاكم على لُجَّةِ النَّوى ...

بريح التَّجافي أن ° نكون بها غرقى

وإعلم يا عبد □ أني ما خصصتك بهذا العتب عابثًا ، ولا لحديث الفكاهة باعثًا ، ولكن إن °
انفرط عقد هذا الجمان من بين يديّ ويديك ، لما كان أحرى بالعتب مني إلا عليك ، لأنني لما طنَّبتُ
هذه الخيمة بأركان الأدب ، وأوتاد البيان ، جعلتُك عمودَ وسطِها ، ولؤلؤةَ سَفَطِها .

وعلاقتُ آمالي العريضةَ كلها ...

عليك يقينًا أن ° تحقِّقها معي

وما خلتُ يومًا أن يكون إلى التباريح

.. أشكو من صدودك مفرعي !

فانظر رحمك الله إلى ماذا يؤول الرأي في غيبة عميده ، والجمع في خيبة عقيده ، والسيف في نبوة حديده ، أو بعدما اطمأن الفؤاد بجمعكم ، وأمرعت البلاد بشفعكم ، أرهصت وألمحت ؟ وأشرت وصرحت ؟ وكننت فأصبحت ؟ هيهات.. هيهات.. فوالذي أنزل الحياة ، وأنبت النبات ، وجمع الشتات ، بجدّه أقمم ، وبمجده أعظم ، وبعهده أُلزم :

ستلتذني مني لو بقيت بفسحةٍ ...

تروغ بها عمّا أنا لك راسمُهُ

إذا قيل أعلام البلاغة نُكِّسَتْ ...

ونودي : ناجي الحرز فُلِّتْ عزائمُهُ

فضع قولي هذا نصب عينيك وعلقه قرطاً في أذنيك ولا تأسفن من تفريطك إلا عليك والسلام